ما الروح ؟ (١)

What is the soul

برتراند راسل

ترجمة وتعقيب دكتور : نصار عبد الله

من أكثر الأمور ايلاما فيما يتعلق بالخطوات التى خطاها العلم مؤخرا إلى الأمام ، أن كل واحدة منها تظهرنا على أننا نعرف أقل مما كنا نحسب أنفسنا على علم به ، ففى صباى كنا جميعا نعرف — أو بالأحرى كان يخيل إلينا أننا نعرف أن الإنسان مكون من روح وجسد ، وأن الجسد قائم فى الزمان والمكان فى حين أن الروح قائمة فى الزمان وحده .

كان إمكان فناء الروح مسألة قد تتعدد فيها وجهات النظر ، أما وجود الروح ذاته فما كان نظنه من الأمور التى تقبل الشك . فإذا نظرنا إلى الجسد وجدنا أن الشخص العادى كان يعد وجوده من الأمور الواضحة بذاتها ، وكذلك كان رجل العلم ، أما الفيلسوف فقد كان ينزع إلى تحليله تحليلا أبعد من خلال هذا النمط أو ذاك من أنماط التحليل .

إنه كان يرده عادة إلى الأفكار القائمة فى ذهن الشخص صاحب الجسد نفسه أو فى ذهن أى شخص آخر تصادف أن قام بملاحظته ، ومع هذا فما كان الفيلسوف يؤخذ مأخذ الجد إذ ظل العلم هانئا بماديته حتى بالنسبة لأولئك العلماء الذين تخففوا شيئا ما من قيود التزمت والحرفية .

أما فى أيامنا هذه فقد ولى هذا الضرب العتيق من التبسيطات القاطعة ، فالفيزيائيون يؤكدون أنه ليس فى الوجود شىء من قبيل ما نطلق عليه المادة وعلماء النفس يؤكدون أن ليس ثمة ما نسميه عقلا .

---

(١) نشر راسل هذا المقال لأول مرة عام ١٩٢٨

إن هذا لمن الأمور التى ليس لها سابقة فمن ذا سمع يوما إسكافيا يقول بأن ليس فى الوجود شيء اسمه الآحذية ؟ أو من ذا سمع حائكا للثياب يقول بأن البشر عراة فى حقيقة الأمر ؟ . . . الحق أن أحدا لو سمع مثل ذلك لما كان هذا أشد عجبا مما ذهب إليه الفيزيائيون وبعض علماء النفس ، ولنبدأ بالاخيرين فإن بعضهم يحاولون رد كل ما يبدو نشاطا عقليا إلى نشاط ما للجسد ، ومع هذا فإن الطريقة التى يتم بها رد النشاط العقلى إلى المادى تكتنفها صعوبات شتى ولا أحسبنا بعد قادرين على أن نقرر فى ثقة أن كانت هذه الصعوبات مما يمكن قهره أم لا . أن كل ما نستطيع قوله إستنادا إلى أسس الفيزياء ذاتها — أن ذلك الذى دأبنا إلى الآن على تسميته بالجسد ما هو فى حقيقة الأمر إلا بناء محكم الصنع لا يتطابق مع أى واقع مادى ، وعلى هذا فان من سيعتنق المادية من المحدثين سوف يجد نفسه فى موقف عجيب ، فهو حين ينجح إلى حد ما فى رد نشاطات العقل إلى نشاطات الجسد ، سوف يلقى نفسه فى الوقت ذاته عاجزا عن تفسير تلك الحقيقة التى مؤداها أن الجسد ذاته ما هو إلا محض مفهوم ملائم قام العقل باختراعه .

هكذا نجد أنفسنا ندور فى دائرة مفرغة فالعقل مُنبَثِقٌ من منبثقات الجسد ، والجسد مخترع من مخترعات العقل .

إن من الواضح أن مثل هذا الموقف لا يمكن أن يكون موقفا صائبا تماما وعلينا أن نلتمس شيئا ما ، لا هو بالعقل ، ولا هو بالجسد ، وأن أمكن لكليهما أن ينبثقا منه . ولنبدأ بالجسد : إن الشخص العادى يحسب الأشياء المادية موجودة بالضرورة طالما أنها واضحة للحواس وما عدا ذلك فقد يكون موضعا للشك . إن من المؤكد أن أى شيء تستطيع الإصطدام به لا بد وأن يكون شيئا حقيقيا وهذه هى ميتافيزيقا الرجل البسيط .

كل هذا حسن ، ولكن الفيزيائيين يجيئون ويبينون أنك لن ترتطم قط بأى شيء وحتى حين تناطح برأسك جدارا من الصخر فأنت لا تلمسه فى حقيقة الأمر إنك حينما يخيل اليك أنك تلمس شيئا ما ، فإن قدراً معينا من الألكترونات والبروتونات التى تكون جزءا من جسدك تتجاذب وتحل محل قدر آخر من

الألكترونات والبروتونات فى الشيء الذى يخيل إليك أنك تلامسه لكن ليس ثمة ملامسة حقيقية فى واقع الأمر .

إن الألكترونات والبروتونات التى فى جسدك تضطرب إذ يستثيرها اقترابها من الكترونات وبر تونات أخرى ، ومن ثم فهى تثيرا اضطرابا يسرى عبر أعصابك إلى المخ حيث يحدث فيه أثر معين هو ما يلزمك لكى تشعر بالملامسة ، وأن من الممكن باستخدام تجارب معينة جعل هذا الشعور مضللا تماما . ومع هذا فان الألكترونات والبروتونات ذاتها ما هى إلا نوع من التقريبات الأولية المحضة ، إنها طريقة تجمع بها داخل حزمة واحدة : اما سلسلة من الموجات وأما الاحتمالات الإحصائية لأنواع شتى من الأحداث ، وهكذا أصبحت المادة على قدر كبير من الهلامية بحيث لم تعد تصلح لكى نجعل منها عصاً نقرع بها العقل .

إن حركة المادة تلك التى اعتدنا أن تبدو لنا وكأنها بعيدة جدا عن أن تكون موضعا للتساؤل — قد أصبحت مفهوما يقصر تماما عن حاجات الفيزياء .

ومع هذا فان العلم الحديث لا يلقى بالا لماهية وجود الروح أو العقل وما عسى أن تكون هذه الماهية ، والواقع أن أسباب إنكار العلم لها لاتختلف فى طبيعتها كثيرا عن أسباب إنكاره للمادة . فالعقل والمادة أشبه ما يكونان بالأسد ووحيد القرن اللذين يتقاتلان من أجل التاج ، ثم تسفر المعركة لا عن انتصار أحدهما على الآخر ولكن عن اكتشاف أنهما كلاهما محض اختراعات ننسب إليهما ما ننسبه .

إن العالم يتكون من أحداث لا من أشياء تعمر زمنا طويلا وتتمتع بخصائص متغيرة وإن هذه الأحداث يمكن أن تتجمع فى مجموعات معينة من خلال ما يقوم بينها من علاقات سببيه فاذا اتخذت هذه العلاقات نمطا معينا كانت المجموعة المترتبة على هذا النمط هى ما قد نطلق عليه شيئا ماديا ، كذلك إذا اتخذت هذه العلاقات نمطا آخر كانت المجموعة المترتبة هى ما نسميه بالروح .

إن كل حادثة تقع داخل دماغ الإنسان سوف تنتمى إلى مجموعات مؤلفة من هذين النمطين كليهما ، فاذا نظرنا إليها من حيث انتمائها إلى مجموعة من النمط الأول وجدنا أنها واحدة من مكونات مخه ، وإذا نظرنا إليها من حيث انتمائها إلى مجموعة من النمط الآخر فهى واحدة من مكونات عقله .

على هذا فما العقل والمادة كلاهما إلا طريقتان ملائمتان لتنظيم الأحداث وليس ثمه ما يدعونا إلى افتراض أن أيا من أجزاء المادة أو العقل لا يقبل الفناء فان الشمس تفقد مادتها فيما نفترض بمعدل ملايين الا طنان كل دقيقة ٥ وكذلك العقل ، فان الذاكرة من أهم ملامحه الأساسية ، وليس ثمه سبب يدعونا إلى إفتراض أن ذاكرة شخص معين سوف تبقى بعد مماته وفى مقابل ذلك فان هناك أسبابا عديدة تدعونا إلى أن نفترض العكس .

إن من الواضح أن الذاكرة مرتبطة بتكوين معين للمخ ، ولما كان هذا التكوين ينحل بالموت فان فى هذا سببا وأى سبب يدعونا إلى افتراض أن الذاكرة بدورها لا بد وأن تتلاشى .

* * *

على الرغم من أن المادية الميتافيزيقية لا يمكن اعتبارها صائبة ، فان العالم من الناحية الوجدانية لن يختلف كثيرا عما كان سيبدو عليه لو أن الصواب كان فى جانب الماديين. أنني أعتقد أن خصوم المادية كان تحركهم رغبتان أساسيتان أولاهما الرغبة فى البرهنة على خلود العقل وثانيهما الرغبة فى البرهنة على أن القوة النهائية فى العالم تغلب عليها الطبيعة العقلية لا المادية وفى كلا هذين الأمرين فانني أحسب أن الماديين هم الذين كانوا على صواب حقا إن رغباتنا ذات قوة مؤثرة على سطح الأرض ، وإن الجانب الأكبر من أراضى هذا الكوكب كان سيتخذ مظهراً مغايرا تماما لما صار عليه لو لم يقم البشر باستغلاله التماسا للطعام والثروة . غير أن قوانا محدودة جدا فى حقيقة الأمر فنحن إلى الآن عاجزون عن فعل أى شيء أيا كان للشمس أو القمر أو حتى لباطن الأرض وليس ثمة سبب واهيا ما كان لافتراض أن ما يحدث فى تلك المناطق التى لا تمتد إليها سطوتنا

راجع إلى أية عوامل ذهنية ، وبعبارة أخرى مختصرة فليس من سبب يحملنا على الإعتقاد بأن شيئاً ما يحدث لأن شخصا ما يريدة أن يحدث اللهم الا فيما يتعلق بما يجرى على سطح الأرض .

ولما كانت سطوتنا على سطح الأرض تعتمد اعتمادا كليا على امدادات الطاقة التى تستمدها الأرض من الشمس ، لهذا فنحن تابعون بالضرورة للشمس وسوف لن نكاد نقوى من ثم على تحقيق أية رغبة من رغباتنا إذا ما بردت الشمس .

أن هذا القول لهو بطبيعة الحال نوع من المصادره القاطعة على ماسوف يحققه العلم فى المستقبل فلعلنا سوف نتعلم كيف نطيل وجود الجنس البشرى إلى أمد أطول مما يبدو الآن ممكنا .

ومع هذا فإذا كانت الفيزياء الحديثة على شئ مامن الصواب ، وبوجه أكثر خصوصية إذا كان القانون الثانى للديناميكا الحرارية صحيحا فليس لنا أن نأمل فى استمرار وجود الجنس البشرى إلى الابد .

لعل هذه النتيجة قد تبدو أمرا محزنا فى نظر بعض الناس ولكن إذا كنا أمناء مع أنفسنا فعلينا أن نسلم بأن ما سوف يحدث بعد عدة ملايين من السنين هوأمر لايعنينا كثيرا من الناحية الوجدانية ونحن لم نزل بعد فى مكاننا هذا وفى زماننا هذا .
أن العلم حيث يضائل ادعاءاتنا الكونية فهو يضاعف من رفاهيتنا على سطح الأرض وهذا هو السبب فى أنه يلقى رحابه فى الصدور بوجه عام على الرغم مما يبديه رجال الدين من الهلع .

تعقيب :

« ما الروح ؟ » واحد من الاسئلة الازلية التى أجهد الفلاسفة أنفسهم منذ أقدم عصور الفلسفة إلى الان فى محاولة تلمس إجابة شافية عليها . أنه سؤال من الاسئلة الفلسفية التقليدية يحاول برتراند راسل كعادته أن يجيب عليها إجابة غير تقليدية . غير أننا قبل أن نمضى فى أستعراض إجابته اللا تقليدية على هذا السؤال التقليدى يحسن بنا أن نشير إلى أن لفظ « الروح » كما يستخدمه الفلاسفة بوجه عام يختلف

اختلافا كبيرا عن أستخدام عامة الناس لهذا اللفظ . إن الكثيرين من عامة الناس انطلاقا من موقفهم الفطرى أو من موروثهم الدينى أو الشعبى يتصورون الروح كائنا معينا أو شيئا مايسكن الجسد فيمنحه الحياة بكل مظاهرها من شعور وحركة وتنفس . . . الخ فاذا مافارق الجسد أدركه الموت . وماهذا هو مايريده الفلاسفة « بالروح » فى مجال تناولهم لنظرية الوجود فليست الروح عندهم مجرد كائن يسكن الجسد فيمنحه الشعور والعقل بل إنها هى « الشعور » أو « العقل » أو ما شابه ذلك من المسميات التى تشير إلى ذلك الموجود « اللامادى » والذى يحتمل أن يكون واحدا من مكونات الوجود .

وبعبارة أخرى فان الفلاسفة يتكلمون عن الروح باعتبارها تلك الطبيعة المقابلة للمادة والمتميزة عنها ومن هنا يمكننا أن ننظر إلى ألفاظ «كالروح » أو « الوعى » أو « الشعور » أو « الذهن » أو « العقل » باعتبارها ألفاظا مترادفة على نحو ما فى مجال البحث الفلسفى حول طبيعة وجود العالم وإن كانت ألفاظا غير مترادفة فى مستوى الفهم العامى للروح .

فاذا عدنا إلى مقال برتراندراسل وجدنا أنه يحاول أن يقتحم المنطقة المجهولة ذاتها تلك التى دأب الفلاسفة من قبله على محاولة اقتحامها ، أنه يحاول المحاولة ذاتها وأن سلك إليها كعادته طريقا مختلفا واستعان عليها بأدوات مختلفة .

أن برتراند راسل يطرح السؤال ذاته الذى طالما طرحه الفلاسفة من قبل ونعنى به مم يتألف الوجود وماهى طبيعته النهائية ؟ولعل من المفيد قبل أن نتوقف عند إجابة راسل أن نستعرض بعض النماذج الفلسفية الشائعة للإجابة على هذا السؤال الأزلى .

---

(١) تحفل المكتبة العربية بالعديد من الأعمال المؤلفة والمترجمة التى تتناول بالعرض المذاهب الفلسفية المختلفة فى الوجود سواء على مستوى المداخل إلى الفلسفة والتى تقدم إلى طلاب الفلسفة المبتدئين أو على مستوى الدراسة المتخصصة لهذا المذهب أو ذاك من مذاهب الوجود .

إجابه (١) :

يتألف الوجود من المادة ولاشئ غير المادة ، وان من فساد الرأى أن نتصر أن هناك عنصرا اضافيا اسمه « الشعور » أو « العقل » ، ذلك أن من الواضح الجلى أن الشعور والعقل يرتبط وجودهما بوجود الجهاز العصبي « (المخ والاعصاب) ؛ والجهاز العصبى ماهو إلاموجود مادى؛ ومن ثم يكون الشعور أو العقل أو أى شيء مما نطلق عليه « الموجود اللامادى » ناتجا من نواتج المادة فى حقيقة الأمر أو عرضا من أعراضها . إن هذه الاجابه هى مايطلق عليها عادة وبوجه عام اسم « المذهب المادى » وذلك مع اسقاط الفروق التفصيليه القائمة بين أنصار هذا المذهب سواء فيما يتعلق بوجهة نظر كل منهم إلى طبيعة الماده أو إلى طبيعة العلاقة بينها وبين نواتجها المعقده من الشعور والعقل والذاكره . . وما إلى ذلك . وفى مقابل هذه الاجابة التى هى قوام المذهب المادى ننتقل إلى اجابة أخرى تقف منها على النقيض تماما نعرضها فيما يلى .

إجابه (٢) :

يتألف الوجود من « الوعى » أو « الذهن » أو « العقل » أو ما إلى ذلك من المسميات التى تشير فى مجملها إلى أن الطبيعة النهائية للعالم طبيعة روحيه ولاشئ غير ذلك . إن من الواضح الجلى أن العالم لايتأتى ادراكه الا من خلال قوة مدركه ، وان ادراكنا للعالم يتحقق من خلال تلك الصورة الذهنية التى ترتسم فى أذهاننا عنه وعلى هذا فإن نقطة البداية هى هذه الصورة الذهنية التى تقفز منها عادة إلى الاستدلال على وجود عالم خارجى مستقل ، وانه لضرب غير مشروع من الاستدلال فنحن لانستطيع أن نثق فى وجود هذا العالم الخارجى إلا باعتباره ناتجا متحصلا عن هذه الصورة الذهنيه .

إن هذه الإجابه هى مايطلق عليها كذلك وبوجه عام اسم المذهب الروحى وذلك أيضا مع اسقاط الفروق التفصيليه القائمة بين أنصار هذا المذهب فيما يتعلق بوجهة نظر كل منهم لطبيعة الروح وفاعليتها . وعلى الرغم من أن المذهبين السابقين يقفان كما أسلفنا على طرفى نقيض ، فانهما يتفقان فى انهما كليهما يحاولان رد الوجود إلى

طبيعة واحدة نهائية هى الطبيعة المادية عند الماديين أو الطبيعة الروحيه عند الروحيين ، لهذا فإنهما يندرجان عادة تحت اسم واحد هو « الواحديه » التى تعتبر إجابه متميزه تقف فى مواجهة أجابات أخرى نعرض من بينها للاجابة التاليه .

إجابه (٣) :

لايتألف الوجود من طبيعة واحدة بل من طبيعتين هما المادة والروح ، وما الانسان نفسه الا مزيج مركب من هذين الطبيعتين فأعضاؤه الحسدية تنتمى إلى عالم المادة أما عقله وشعوره وفكرة فكلها ينتمى إلى عالم الروح وهذه الإجابة هى ماتعرف بمذهب الثنائية والتى تعد فلسفة الفيلسوف رينيه ديكارت أبرز تعبير عنها فى مطلع العصور الحديثه .

تلك هى أكثر الإجابات شيوعا على هذا السؤال الفلسفى الازلى . والحق أن كلا منها لايخلو للوهلة الأولى من موضع ما للقوة ، فالواحديه مثلا فى سائر صورها تلائم مقتضيات البحث الفلسفى الذى ينزع دائما ما أمكنه ذلك إلى التماس نوع ما من الوحدة تكمن خلف التعدد ، ومن ناحية ثانيه فان الثنائية أقرب إلى طبيعة العالم كما يبدو ومن ثم فهى أكثر اقناعا وأيسر فهما من وجهة نظر الانسان العادى بوجه خاص ، ومع هذا فان كلا من هذه الإجابات لايخلو من مواضع للضعف والقصور ، كثيرا ما تلقفها الطرف الاخر وحرص على إبرازها فى محاولة من جانبه لتأكيدأن تصوره الخاص هو الاولى بالاتباع .

والواقع أن جانبا كبيرا من مقال برتراند راسل هذا ما هو إلا ترديد للانتقادات التى طالما وجهها كل فريق إلى الفريق الآخر . فأنصار المذهب المادى قد اصبحوا مطالبين باعادة النظر إلى طبيعة المادة بعد الإنجازات الهائلة التى حققها علم الفيزياء الحديث : فبعد أن كانت المادة كتلة صماء متماسكة من وجهة النظر الكلاسيكية استحالت إلى ذرات ذات حركة دائمة تفصل بينها مساحات شاسعة ثم استحالت الذرات إلى نوبات كل منها يتألف من شحنات كهربائية معينة وتدور حولها

الألكترونات فى مدارات أشبه ما تكون بمدارات الكواكب حول الشمس . وهكذا فقدت المادة صلابتها بل أنها فقدت فى الواقع جانبا كبيرا من ماديتها كما تصورها الأولون . ومن ناحية ثانية فما زال الماديون مطالبين رغم هذا التصور الجديد للمادة بتقديم تعليل مقنع لكيفية تحول النشاط المادى داخل الجهاز العصبى إلى مشاعر أحاسيس وأفكار ، وهو اعتراض يصدق على الماديين المحدثين بنفس الطريقة التى يصدق بها على الماديين التقليديين ، فاذا انتقلنا إلى أنصار المذهب الروحى لوجدنا أنهم يواجهون صعوبة مماثلة تتمثل فى إيجاد تعليل مقنع لمصدر الذهن أو العقل ثم إيجاد تعليل مقنع لما يرتسم على هذا العقل من صورة ذهنية لما يبدو أنه الواقع ولماذا لا يوجد الذهن مكتفيا بنفسه بحيث لا يرتسم عليه إلا صورته هو ؟

أما المذهب الثنائى فلا يخلو بدوره من مواجهات الصعوبات وأهمها كيفية تفسير العلاقة بين الجسم والعقل ، طالما أن كلا منهما من طبيعة مختلفة تماما عن الآخر ، وكيف يمكن أن يتحول الحادث المادى (وخز الدبوس مثلا) إلى حادث شعورى هو الألم وبالمثل كيف يمكن أن يتحول الحادث العقلى (الرغبة فى الحركة مثلا) إلى حادث مادى هو الحركة الفعلية إن كل هذه الصعوبات هى ما يواجهه راسل فى مقالة هذا حيث يقترح لحلها اقتراحا طريفا .

فبعد أن يرفض الإجابات الثلاثة السابقة يفترض أن الحقيقة النهائية للوجود ذات طبيعة خاصة لا هى بالمادية ولا هى بالروحية ولا هى مزيج بين الطبيعتين إنها طبيعة ثالثة محايدة أطلق عليها الأحداث ، والأحداث هى ما يشغل حيزا ضئيلا جدا فى الزمان الممتزج بالمكان طبقا للتعبير الذى تستخدمه نظرية النسبية(١) إن الأحداث تتجمع تارة لتتخذ نمطا معينا هو ما نطلق عليه المادة وهى قد تتجمع تارة أخرى لتتخذ نمطا آخر هو ما نطلق عليه الروح ، فى حين أن الوجود الخارجى ذاته لا يعرف شيئاً أسمه الروح ولا يعرف شيئا أسمه المادة ولا يعرف إلا هذه الأحداث البسيطة ذاتها .

(١) د . عزمى اسلام : مدخل إلى الميتافيزيقا ، مكتبة جامعه عين شمس ، القاهره ١٩٧٧ ص . ٢٧٨

ومن خلال هذه النظرية التى يطلق عليها عادة «الواحدية المحايدة» أستطاع راسل أن يتجاوز المأزق الذى وقع فيه المذهب الثنائى من ناحية وأن يتخلص من الإعتراضات التى يتبادلها أنصار الواحدية المادية والواحدية الروحية من ناجية ثانية ، وأن يحقق البساطة المذهبية التى يدعو إليها نصل أوكام من ناحية ثالثة وأن يستفيد من منجزات العلم المعاصر من ناحية رابعة .

ومع هذا فان التصور الذى يطرحه راسل فى هذا المقال وعلى الرغم من طرافتة ليس تصورا جديدا على الفلسفة ، كما أنه ليس تصورا جديدا على برتراند راسل نفسه ، إذ ليمكن تعقب أصوله عند الفيلسوف الهولندى اسبيتوزا الذى قال بنظرية الموجود المحايد ذى الوجهين ، فالوجود فى رأى اسبينوزا ذو طبيعة محايدة تتبدى لنا طورا على هيئة المادة وطورا آخر على هيئة الروح وكلا هذين الطورين مستمد فى النهاية من الحقيقة الخالدة الوحيدة التى هى الله (١) كذلك يمكن أن تتعقب هذه النظرية عند وليم جيمس فى مقالة الشهير « هل للوعى وجود » والتى يعترف راسل صراحة بأنه كان مصدر وحى له فى وضعه لهذه النظرية(٢) .

فقد انتهى جيمس فى هذا المقال إلى أن الوجود فى أى لحظة من اللحظات ما هو إلا تجمع للمعطيات الحسية على نحو معين عند نقطة معينة فاذا كانت هذه النقطة هى ما نسميه بالعقل المدرك فلا فرق بين الصورة الذهنية المنطبعة عليه وبين الحقيقة الخارجية فهما شىء واحد ننظر من الداخل مرة فاذا هو صورة ذهنية ومن الخارج فإذا هو معطيات حسية(٣) .

---

(١) لعل من الطرافه بمكان أن نذكر ان نظريه الموجود المحايد ذى الوجهين عند اسبينوزا ربما كانت من بين الأسباب التى حدت بالبعض إلى تفسير موقفه الا ونتولوجى تفسيرات متبابنه

(٢) انظر : د . زكى نجيب محمود . برتراند راسل ، سلسله نوابع الفكر الغربى ، القاهرة دار المعارف – الطبعة الثانيه (غفل من تاريخ النشر ، ص ٩٨

(٣) د . زكى نجيب محمود : حياة الفكر فى العالم الجيد – القاهرة – مكتبه الانجلو المصريه (غفل من تاريخ النشر) ص : ١٩٠

من هنا يتضح أن هذه النظرية ليست جديدة تماما على الفلسفة على الرغم مما فيها من الطرافة التى نلمسها بوضوح فى المقال السابق ، ومن ناحية ثانية فان الأفكار التى تضمنها هذا المقال ليست جديدة على فلسفة راسل ذاتها فهو فى واقع الأمر يقدم لنا خلاصة وافية لما سبق أن قال به فى أعمال أخرى أكبر مثل كتابة تحليل العقل الصادر عام ١٩٢١ وكتابه تحليل المادة الصادر عام ١٩٢٧(١) .

إن هذا المقال يبرهن لنا على أمرين هما أن برتراند راسل هو من خير الذين يفلحون فى رد الظواهر المعقدة إلى أبسط عدد ممكن من المبادىء ، وثانيهما هو أنه خير من يستطيع تلخيص الأعمال الضخمة لبرتراند راسل وعرضها فى سطور محدودة هو برتراند راسل نفسه

كما أدت إلى تصنيفه تصنيفات متناقضه وعلى سبيل المثال فان أحد قواميس الفلسفه الصادره فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٧ يبدأ تقديمه لاسبينوزا بأنه فيلسوف مادى

"Spinoza, Baruch or Benedict (1632-77) Dutch Materialist Philosopher, ...etc.

M. Rosenthal & Yudin (editors), A Dictionary of philosophy, progress publishers, Moscow, 1967

وفى مقابل ذلك يسّهل أحد قواميس الفلسفه الصادره فى الولايات المتحدة تقديمه لا سبينوزا بأنه فيلسوف عقلى :

"Spinoza, Benedict (also Baruch), (1632-77) Rationalist philosopher,,

AntonytFlew, A Dictionary of pilosophy, St Martin's press, Newtyork, 1978

(١) قدم الدكتور زكى نجيب عرضا وان يكن مختصرا لمحتويات هذه الاعمال فى كتابه عن برتراند راسل السالف الذكر ، كما قدم ترجمه لكتابه : — "An outline of philosophy,, بعنوان الفلسفة بنظره علمية ، وفيه أشار مرة أخرى إلى نظرية الواحديه المحايده القاهره ، الانجلو المصريه ١٩٦٠

WHAT IS THE SOUL?-

One of the most painful circumstances of recent advances in science is that each one of them makes us know less than we thought we did. When I was young we all knew, or thought we knew, that a man consists of a soul and a body ; that the body is in time and space, but the soul is in time only, Whether the soul survives death was a matter as to which opinions might differ, but that there is a soul was thought to be indubitable. As for the body, the plain man of course considered its existence self-evident, and so did the man of science, but the philosopher was apt to analyse it away after one fashion or another, reducing it usually to ideas in the mind of the man who had the body and anybody else who happened to notice him. The philosopher, however, was not taken seriously, and science remained comfortably materialistic, even in the hands of quite orthodox scientists.

Nowadays these fine old simplicities are lost physicists assure us that there is no such thing as matter, and psychologists assure us that there is no such thing as mind. This is an unprecedented occurrence. Who ever heard of a cobbler saying that there was no such thing as boots, or a tailor maintaining that all men are really naked ? Yet that would have been no odder than what physicists and certain psychologists have been doing. To begin with the latter, some of them attempt to reduce everything that seems to be mental activity to an activity of the body. There are, however, various difficulties in the way of reducing mental activity to physical activity, I do not think we can yet say with any assurance whether these difficulties are or are not insuperable. What we can say, on the basis of physics itself, is that what we have hitherto called our body is really an elaborate scientific construction not corresponding to any physical reality, The modern would-be materialist thus finds himself in a curious position, for, while he may with a certian degree of succes reduce the activities of the mind to those of the body, he cannat explain away the fact that the body itself is merely a convenient concept invented by the mind. We find ourselves thus going round and round in a circel : mind is an emanation of body, and body is an invenition of mind. Evidently this cannot be quite right, and we have to look for something that is neither mind nor body, out of which both can spring.

Let us begin with the body. The plain man thinks that material objects must certainly exist, since they are evident to the senses. Whatever else may be doubted, it is certain that anything you can bump into must be real ;

this is the plian man's metaphysic. This is all very well, but the physicist comes along and shows the you never bump into anything : even when you run your head against a stone wall, you do not really touch it. When you think you touch a thing, there are certain electrons and protons, forming part of of your body, which are attracted and repelled by certain electrons and protons in the thing you think you are touching, but there is no actual contact. The electrons and protons in your body, becoming agitated by nearness to the other electrons and protons, are disturbed, and transmit a disturbance along your nerves to the brain ; the efect in the brain is what is necessary to your sensation of contact, and by suitable experiments this sensation can be made quite deceptive. The electrons and protons themselves, however, are only a crude first approximation, a way of collecting into a bundle either trains of waves or the statistical probabilities of various different kinds of events. Thus matter has become altogether to ghostly to be used as an adequate stick with which to beat the mind. Matter in motion, which used to seem so unquestionable, turns out to be a concept quite inadequate for the needs of physics.

Nevertheless modern science gives no indication whatever of the existence of the soul or mind as an entity ; indeed the reasons for disbelieving in it are of very much the same kind as the reasons for disbelieving in matter. Mind and matter were somethig like the lion and the unicorn fighting for the crown ; the end of the battle is not the victory of one or the other, but the discovery that both are only heraldic inventions . The world consists of events, not of things that endure for along time and have changing properties. Events can be collected into groups by their causal relations. If the causal relations are of one sort, the resulting group of events may be called a physical object, and if the causal relations are of another sort, the resulting group may be called a mind. Any event that occurs inside a man's head will belong to groups of both kinds ; considered as belonging to a group of one kind, it is a constituent of his brain, and considered as belonging to a group of the other kind, it is a constituent of his mind.

Thus both mind and matter are merely convenient ways of organizing events. There can be no reason for supposing that either a piece of mind or a piece of matter is immortal. The sun is supposed to be losing matter at the rate of millions of tons a minute. The most essential characteristic of mind is memory, and there is no reason whatever to suppose that the memory associated with a given person survives that person's death. Indeed here is every reason to think the opposite, for memory is clearly connected with

a certain kind of brain structure, and since this structure decays at death, there is every reason to suppose that memory also must cease. Although metaphysical materialism cannot be consedered true, yet emotionally the world is pretty much the same as it would be if the materialists were in the right. I think the opponents of materialism have always been actuated by two main desires : the first to prove that the mind is immortal, and the second to prove that the ultimate power in the universe is mental rather than physical, In both these respects, I think the materialists were in the righ. Our desires, it is true, have considerable power on the earth's surface : the greater part of the land on this planet has a quite different aspect from that which it would have if men had not utilized it to extract food and wealth. But our power is very strictly limited. We cannot at present do anything whatever to the sun or moon or even to the intiior of the earth, and there is not the faintest reasson to suppose that what happens in regions to which our power does not extend has any mental causes. That is to say to put the matter in a nutshell, there is no reason to think that except on the earth's surface anything happens because somebody wishes it to happen.And since our power on the earth's surface is entirely dependent upon the supply of energy which the earth derives from the sun,we are necessarily dependent upon the sun, and could hardly realize any of our wishes if the sun grew cold. It is of course rash to dogmatize as to what science may achieve in the future. We may learn to prolong human existence longer than now seems possible, but if there is any truth in modern physics,more particularly in the second law of thermodynamics,we cannot hope that the human race will continue for ever, Some people may find this conclusion gloomy, but if we are honest with ourselves, we shall have to admit that what is going to happen many millions of years hence has no very great emotional interest for us here and now, And science, while it diminishes our cosmic pretensions, enormously increases our terrestrial comfort. That is why, in spite of the horror of the theologians, science has on the whole been tolerated.